



مقدمة:

لم أجد للفظ Ego بالإنجليزية ترجمة مناسبة بالعربية، ذلك أنني بصراحة لم أرتح أبدا لترجمته إلى لفظ "الأنا"، حيث لم أجد له ما يدعمه في كل ما مر بي من تراث العربية القادرة الجميلة، ومع ذلك فليس عندي بديل حتى الآن.

بمراجعة المفهوم أو المضمون الذي يقدمه هذا اللفظ بالإنجليزية عامة وفي العلوم النفسية خاصة، لم أجد اتفاقا جامعا مانعا على تحديد ماهيته ورغم وفرة استعمالته، لذلك سوف أجعل نشرة اليوم مجرد إشارة محدودة إلى هذه القضية من حيث بعض استعمالاته، ومدى الاختلاف حولها، ويمكن مراجعة التفاصيل في مقال نشر بمجلة الإنسان والتطور (الأم) في أكتوبر 1986 بعنوان "علم نفس الأنا" للأستاذ الدكتور رفعت محفوظ [2] وقد استعرض فيه نشأة مفهوم الأنا ثم مراحل تطور "علم نفس الأنا"، منذ ما قبل فرويد وحتى ما لحق بالمفهوم الفرويدي من نقد وما تجاوزه من تنظير وتطبيق، وإليك لمحة عابرة حول بعض هذه الحيرة:

غلب على مفهوم ما هو "إجو" في البداية أنه كيان ضعيف سلبي تحت رحمة قوى تحتية (الهو) وفوقية (الأنا الأعلى) ثم الواقع الخارجي، لكن أضيفت له بعد ذلك مفاهيم أكثر إيجابية باعتبار أنه قوة فعالة ومنظمة ومسؤولة عن التكامل والتحكم في السلوك لها دور أساسي في التكيف والفعل وتحديد معالم الشخصية كما تبدو لنا ونتعامل معها، وقد زاد هذا الاختلاف من الحيرة في التوصيف والتعريف، وخاصة بعد أن تناول النقد الأوجه المتناقضة لهذا المسمى الأنا، مثلا: الأنا هو الذي يقوم بالعمليات الدفاعية (الميكانيزمات) التي تضبط التوازن بين طاقة وحركية ما تحته (الهو) وما فوقه (الأنا الأعلى)، وبين متطلبات ولزوم ما يتعامل معه من واقع خارجي متضمنا العلاقة بالآخر، وفي نفس الوقت هو المختص بالعمليات الثانوية الشعورية الأحكم والأرقى مثل التفكير المنطقي والذاكرة والتجريد والاستنتاج، فكيف يكون عمله الدفاعي الأساسي لا شعوريا (الميكانيزمات) في حين أن كل وظائفه الظاهرية شعورية متماسكة محكمة؟

وبرغم كل ذلك وغيره، فليس أمانا إلا أن نستعمل المصطلحين الواردين في العنوان عن "قوة الأنا" و"وظائف الأنا"، ثم قد نعود للربط بين ذلك وبين النظرية التطورية الإيقاعية [3].

أولا: قوة الأنا

يستعمل تعبير "قوة الأنا" بدرجة أقل في الممارسة الإكلينيكية العادية، أقل من استعمال تعبير

أنني بصراحة لم أرتح أبدا لترجمته إلى لفظ "الأنا"، حيث لم أجد له ما يدعمه في كل ما مر بي من تراث العربية القادرة الجميلة

غلب على مفهوم ما هو "إجو" في البداية أنه كيان ضعيف سلبي تحت رحمة قوى تحتية (الهو) وفوقية (الأنا الأعلى) ثم الواقع الخارجي

الأنا هو الذي يقوم بالعمليات الدفاعية (الميكانيزمات) التي تضبط التوازن بين طاقة وحركية ما تحته (الهو) وما فوقه (الأنا الأعلى)

"وظائف الذات"، وعادة ما يستعمل لفظ قوة الشخصية في ما يعنيه لفظ قوة الأنا، وقد سبق أن أشرنا الأسبوع الماضى إلى كيف أن الافتخار بما يسمى "الشخصية القوية" صار فى تراجع مستمر، مقابل اضطراب الفخر بمرونة الشخصية وقدرتها على التغير والحركة والإبداع، حتى استعملنا التعبير الذى نحتناه نحنا وهو "الشخصية فى الـ"لَيْتَكُونُ دائما" مقابل تعبير The personality always in the making.

دعونا نحدد ما نعنيه بهذا المصطلح "قوة الأنا" من منطلق إكلينيكي عملي، من حيث أنه يشير إلى "درجة المقاومة التى يتمتع بها شخص ما ضد الكسر أو الضعف النفسى، وهذا قد يكون مرادفا لدرجة المناعة التى لديه ضد المرض النفسى، وأيضا درجة الصلابة فى مواجهة ضغوط الحياة العادية وأكثر، الأمر الذى يمكن ربطه بما تمتع به الفرد من رعاية دالة وكافية أثناء نموه، وأيضا بمدى الإنجاز الفعلى الذى يمارسه فى حياته اليومية، وكذلك بقدر "المعنى" الذى يصله من عمله وليس مجرد إنجازه أو عائدته، وأيضا بقدر اتساع دائرة معاملاته وعلاقاته مع مختلف الأشخاص فى مختلف الظروف.

وكما نرى فإن هذه الصفات الحميدة الأمّلة المُرسّلة تحتاج إلى قياسات محكمة لتحديد وتقنينها وضبطها إذا كان المطلوب هو الاستفادة منها إكلينيكيًا، وقد جرت بحوث كثيرة باستعمال مقاييس مختلفة أُعدّت لذلك، لكن بالنسبة للممارسة الإكلينيكية فإن المريض عادة لا يحتاج إلى هذه المقاييس ولا إلى هذا التقييم، كما أن الهدف من العلاج ليس هو أن نقوى شخصية المريض "جدا" حتى يتمتع بقوة "أنا" غير مسبقة، الأمر الذى يقترب من المفهوم الذى شاع مؤخرا تحت عنوان "نوعية الحياة" [4]

الأهم فى الممارسة الإكلينيكية هو تقييم وظائف الذات إكلينيكيًا وقياسيًا، لأن هذه قدرات وسمات محددة مرتبطة بالهدف من العلاج وبمنع النكسة، وأيضا يمكن أن نقيس من خلال تحسينها مدى الاستجابة للعلاج كما يمكن ترتيب أولوياتها فى كل حالة حسب مدى اضطرابها، وأيضا مدى حاجة كل مريض لتصحيح ما آلت إليه هذه الوظيفة أو تلك أولا.

أما وظائف الأنا فلها دور عملي إكلينيكي تطبيقي أكثر وضوحا وأقرب فائدة:

ثانيا: وظائف الأنا

يبدو أنه ما دام لا يوجد سبيل واضح محدد لتعريف "الأنا" فإن الاتفاق على تحديد وظائفه قد يكون الوسيلة الأقرب للاقتراب منه وفهم ما نعنيه به، علما بأنه لا توجد إجابة محددة حتى الآن عن عدد هذه الوظائف، لكن وضع الباحثون والممارسون قوائم كثيرة لتقييم هذه الوظائف وهى متاحة وعملية، ومع كثرتها وتعددتها فإنها يمكن أن تعد تطويرا وتفصيلا لما أسماه هارتمان [5] "الثالوث القوى"؛ والذى يتضمن ثلاثة وظائف أساسية هى التكيف - التحكم - التكامل، وهذا علما بأن كثيرا من وظائف الذات - كما سيرد ذكره - يشمل معالم ما يسمى "قوة الأنا".

وفيما يلى بعض أسماء وظائف الأنا التى انتقاها بلاك وزملاءه Bellak et al. (1973) [6] وهى اثنتا عشرة نعددها اليوم لنعود إليها غدا لنتعرف على موقعها فى ثقافتنا الخاصة وفى الممارسة الإكلينيكية

- 1- اختبار الواقع Reality Testing
- 2- الحكم على الأمور Judgment
- 3- الاحساس بواقعية العالم وواقعية الذات Sense of Reality of the World and

بما يسمى "الشخصية القوية"
صار فى تراجع مستمر، مقابل
اضطراب الفخر بمرونة
الشخصية وقدرتها على التغير
والحركة والإبداع

استعملنا التعبير الذى نحتناه
نحننا وهو "الشخصية فى
الـ"لَيْتَكُونُ دائما" مقابل تعبير
The personality
always in the making

أن المهدف من العلاج ليس
هو أن نقوى شخصية المريض
"جدا" حتى يتمتع بقوة "أنا"
غير مسبقة، الأمر الذى
يقترب من المفهوم الذى
شاع مؤخرا تحت عنوان
"نوعية الحياة"

الأهم فى الممارسة
الإكلينيكية هو تقييم وظائف
الذات إكلينيكيًا وقياسيًا، لأن
هذه قدرات وسمات محددة
مرتبطة بالمهدف من العلاج
وبمنع النكسة

- 4- التنظيم والتحكم فى الدوافع والمشاعر والاندفاعات Regulation and Control of Drives, Affects and Impulses.
- 5- العلاقة بالموضوع (الآخر) Object Relations
- 6- عمليات التفكير Thought Processes
- 7- الوظيفة الدفاعية Defensive Function
- 8- حجز وتنظيم المثيرات Stimulus Barrier
- 9- الوظائف الأوتونومية (التلقائية الاستقلالية) Autonomous Functioning
- 10- السيطرة والكفاءة Mastery - Competence
- 11- التكامل وعمل الولاى Synthetic - Integrative Functioning
- 12- النكوص التكيفى فى خدمة الأنا Adaptive Regression in the service of the Ego
-
- وغدا نفصل بعض معالم هذه الوظائف فى ثقافتنا خاصة: فى الصحة والمرض

- بعض أسماء وظائف الأنا التى انتقناها بلاك وزملاءه Bellak et al وهى اثنتا عشرة - اختبار الواقع
- 2- الحكم على الأمور
- 3- الاحساس بواقعية العالم وواقعية الذات
- 4- التنظيم والتحكم فى الدوافع والمشاعر والاندفاعات
- 5- العلاقة بالموضوع (الآخر)
- 6- عمليات التفكير
- 7- الوظيفة الدفاعية
- 8- حجز وتنظيم المثيرات
- 9- الوظائف الأوتونومية (التلقائية الاستقلالية)
- 10- السيطرة والكفاءة
- 11- التكامل وعمل الولاى
- 12- النكوص التكيفى فى خدمة الأنا

- [1] - Ego Strength and Ego Functions
- [2] - رفعت محفوظ: "علم نفس الأنا" مجلة الإنسان والتطور عدد أكتوبر 1986، علما بأن معظم ما جاء فى نشرة اليوم مستمد من هذا المقال أساسا.
- [3] - التى أشار إليها كاتب المقال الأسمى د. رفعت محفوظ فى آخر هامش فى مقاله، دون المتن وعنده حق، فهى لم تكتب متكاملة بعد، ولم تنشر أصلا
- [4] - Quality of Life (لاحظ: يقترب من، وليس مرادفا له ولا مكافئا له)
- [5] - Hartmann, H. (1936) Ego psychology and the problem of adaptation. New York: International Universities, (رفعت محفوظ نفس الهامش رقم 1). 1975.
- [6] - Bellak, L., Hurvich, M. and Gediman, H. (1973) Ego Functions in Schizophrenics, Neurotics, and Normals. New York London: John Wiley & Sons.

*** **



شبكة علوم النفس العربية
نحو ليقة نفسانية أفضل



مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا ... نذهب أبعد